**التعرف بالفن :-**

**مقدمة**

**أنّ العمل الفني المُستمر الذي قام به الإنسان منذ الخلق الأول جاء بإبداعات لا زالت آثارها باقية إلى يومنا هذا ، وكل تلك النِتاجات هي ما كانت تتطلّب حاجة الإنسان .**

**فنجد رسوماته وأدواته البدائية ورقصاته السحرية ما هي إلاّ وسيلة لصراعه مع الطبيعة لأجل بقاءه .**

**وللفنون التشكيلية دورٌ في المجتمع منذ قديم الزمان فهي مُرتبطة بعاداته وتقاليده وظروفه الاجتماعية ومُعتقداته الدينية . فنجد الإنسان قد عبّر وعلى مُختلف العصور عن كل ما يُحيط به وكانت كل وسائله المُستخدمة مُستمدّة من المجتمع وذات صِلة قوية به . وينفَرد الإنسان بما يملكه من عقل بقدراته الخاصة على التعبير ، فهو قادر على نَقل الصوَر غير المرئية من الذات الإنسانية إلى صوَر يُمكن مشاهدتها بصرياً . وكانت للظروف التي عاشها وللتطوّر الحضاري الأثَر في خَلق وسائل التعبير والتي كانت في بداية ظهورها مُحدّدة ، وقد كانت أساليبه التعبيرية أيضاً مُحدّدة ومع ذلك فقد ترك لنا نِتاجات فنية كثيرة تعكس جانباً مُهماً من جوانب حياته ومُستواه الفني والظروف التي عاشها في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية .**

**فقد كان الإنسان في بداية حياته يعتمد على الصيد وجَمْع القوت لذا كانت وسائل التعبير لديه مُتّصلة بهذه الظروف ، فكانت صناعة الأدوات الحجرية التي كان يصطاد بها ويرسم بها على جُدران الكهوف من أهم الوسائل التي صبَّ فيها قُدراته ، وكان لذلك الأثر في خلق فنون الرسم . ومع تغيُّر حياته وتحوّلها إلى الاستقرار بدل التنقُّل زاد لديه الجانب الإبداعي ، فظهور الصناعات الفخارية وتنوّع الأواني الفخارية وطلاء سطوحها وبطونها بالألوان وتوزيع الزخارف عليها لم يكُن إلاّ بوجود حس فني وجمالي لديه .**

**" فقطعة الحَجر الطبيعية تغيّرت إلى آلة منحوتة مُشذّبة … وأصبحت ذات شكل … وفائدة … ولع الذي يبدو من دراسة الرسوم التي تركها الإنسان في مناطق مختلفة على جدران الكهوف وسقوفها وعلى الأحجار والعظام وغيرها أن عدداً من العوامل والدوافع اشتركت في إظهار تلك اللوحات إلى عالم الوجود ، ولعل العامل الاقتصادي كان في مقدمة العوامل لِما له صلة بحياة الإنسان القديم وحصوله على فنونه وتأمين استمراره في الحياة والبقاء والتصوّر**

**والدليل على ذلك أن فنون الرسم والنحت بَلغَت ذروة رُقيّها خلال العصر الحجري القديم ، بينما نجدها في بداية العصر الحجري الحديث تميل إلى الضعف . والسبب هو تبدُّل أسلوب حياة الإنسان من صيّاد مُتنقّل إلى إنسان مُستقر في بيوت ومَزارع يسكُن القُرى ومُدجّن للحيوانات ، فتحوّل نشاطه الفني في الرسم والنحت إلى صناعات فنية لها علاقة بحياته الاقتصادية الجديدة . وقد عبّر عن قُدراته الفنية وإبداعاته في بناء البيوت وصناعة الأسلحة وغيرها من الأشياء .**

**لقد أصبح في وسع الإنسان صناعة الأشياء مثل الفؤوس وصار يَعْرف غاية الفكرة ثم يُنتج الشيء وفقاً لتخطيط ولم يكُن يصنع الشيء كُلّه فهو يُعطي الشيء شكلاً ل ما يؤكد كَـفاءتة فقط بينما المادة من الخشب أو الحجر هي في الطبيعة وعرَف أن عمل أي شيء تسبقه فكرة .**

**لقد خضعت رسومات إنسان الكهوف إلى عدّة تغييرات ، وكانت أغلب رسوماته حيوانية لها مغزى سحري . " فقد كان الرجل البدائي يؤمن في حال تجسيده للحيوان أنما يكتسب قوّة السيطرة عليه وهي وسيلة ناجحة لاصطياده لأجل الطعام وهؤلاء البدائيون يعتقدون أن هذه الرسومات تلعب دوراً بطقوس الخصب ، وهناك رسومات غير مُتقنة وهناك أسلوب واقعي دقيق خاص بالعصر الحجري القديم الأول ْا ن تلك الآلـة نِتاجاً فنياً أنها لم تُستعمل للصيد .**

**لقد كان الإنسان القديم يستخدم أصابع يديه فضلاً عن جلد الحيوانات ذات الفِراء وريش الطيور وشعر الحيوانات كفرشاة للرسم . " وقد كانت الألوان السائدة آنذاك هي الأحمر والأسود لتوافُر مادّتهما الأولية في الطبيعة بكثرة ، فالصبغة الحمراء من خامات الحديـد كالمغره وحجر الدم . أما خامـة اللـون الأسود فقـد كانت مـن فحـم الخشب والمنغنيز . "**

**ولم تكُن هناك تدرّجات لونية سوى بعض الخدوش اللولبية التي تُشير إلى فِراء الحيوانات**

**" لقد استخدم الإنسان الفرش المُغمّسة بالألوان والتي يتم ضغطها على الجدار بضربات عريضة ، أو استخدم الإنسان البدائي طريقة رشق الألوان بالنفخ من خلال بعض الأدوات البدائية المصنوعة من القصب وعظام الحيوانات ، ونتيجة للظروف الطبيعية والتطور الزمني لوحظ أن هذه الصور مغطاة بطبقة جيلاتينية رقيقة تكوّنت من اندماج المواد الشحمية مع بعض المواد الكلسية لجدران الكهوف كأنها مطليّة بالوارنيش ، وقد ساعدت هذه الطبقة على حفظ الصور من الظواهر الطبيعية كالرطوبة ." كما في شكل رقم ( 1 ) .**



**ونلاحظ في رسومات الإنسان البدائي إنها اتخذت أشكال مُتفرقة على الجدران أو مقلوبة أو بشكل عمودي ، فمسالة التكوين أي الربط المُنتظم بين الرسومات وعلاقتها بالمَشاهد لم تكن معروفة ، فكل حيوان يُعطيه الأهمية كشكل مُستقل يعدّه هدف يصبوا إليه لاصطياده . وفي بعض الأماكن الأخرى رَسَم القطعان ومَشاهد الصيد والقِتال وحاول التركيز على رسوم الحيوانات . أما رسوم الأشخاص فكانت بشكل مبسط ، الرأس والجسم رسماً بخط واحد ولكن عند رسم الأرجل أكّد على مفاصل الرُكبة وكذلك حركة اليد الماسِكة بالنِبال وأدوات الصيد .**

**" لقد تميزت رسومات العصر الحجري المتوسط عن رسومات إنسان العصر الحجري القديم ، فالأولى أخذت أشكالاً حُدِّدت بالخطوط وباللون وهي خالية من التدرُّج اللوني على عكس رسوماته في العصر الحجري القديم فقد أخذ الرسام في هذا العصر يؤكّد على الحركة كذلك على العضو الفعّال لتلك الحركة كالأيدي الماسِكة بالقوس والرِماح والأرجل الراكضة … كمشاهد الصيد والرقص على عكس رسوماته في العصر الحجري القديم حيث كانت الرسومات مُبعثرة وكان اعتماد الفنان في إبراز الحالات النفسية على أعضاء الرأس والأطراف وتحريكها على وفق الحالة التي يُريدها كالتأهُّب للهجوم أو الفزَع والهروب أو في حالات الهدوء واقفة أو مضطجعة … كما عكس في رسومه بعض معتقداته الفكرية أو الدينية ، فبتكرار رسم البقرة أو غيرها من الحيوانات متبوعة بالفحل يعكس بِلا شَك فكرة الخصب والتكاثر مع الاهتمام بأعضاء الرأس من عيون وآذان وقرون ، يُقابل هـذا عدم التركيز علـى الأجزاء الأخرى من جسم الحيوان ولا سيما الأطراف وقد قام الإنسان القديم كذلك برسم الأشكال البشرية حيث رسَمها " بحجم أصغر من الحجم الطبيعي للإنسان والنظرة فيها غالباً ماتكون جانبية عدا الرأس الذي مُثِّل بعضه بنظرة أمامية وبعضه الآخر بنظرة جانبية ."**

**وقد رسَمها بعيداً عن الواقع وأقرب ما يكون للأسلوب التجريدي أو الرمزي وقد مثّلت أغلبها رجالاً يحملون سلاحاً ( القوس والسهم ) بشكل منفرد أو جماعة أو رسم جماعة من البشر تُطارد الحيوانات أو حالة حرب بين فريقين لكنها لا تخلو من التعبير على الرغم من بساطتها.**

****

**أما النساء فرُسِمت وهي تقوم بحركات تدل على الرقص كالاستناد في الوقوف إلى أصابع القدم مع التواء الجسم وحركة اليدين .**

**تناول الإنسان كذلك في رسوماته الأشكال الحيوانية والإنسانية وما يُسمى بالأزياء التنكُّرية كأن يرتدي الإنسان جلد حيوان . ويرى الباحثون إنها مرتبطة بأفكار سحرية تتّصل بنوع من الشعائر الدينية الساذجة التي مارسها الإنسان القديم والتي لها علاقة بالخصب والتكاثر أو إنها تستخدم ككمين لكي يصطاد بها الحيوانات لكي يَسهل له الحصول على غذائه ، أي أنه يُحقق فيها مآرب اقتصادية.**

**ومن هنا فقد كان الفن ومازال أداة تعبيرية عن نشاط إنساني إبداعي ، مهما اختلفت أسباب وجوده وتطوّرت أساليبه ، لذلك يقوم الإنسان بالتوازن في حياته بطريقة ما ، فالفنان يُعوّض عن حاجته بِفنّه . فالفن علاقة بين الإنسان وواقعه ، أما نشأة الفن في العالم القديم ، يُعَد ضرباً من السحر . والوظيفة الأساسية للفن هي التنوير والتعبير ، ولم تكُن علاقة الفن بالجمال معروفة قديماً ، فقد كان سِلاحاً سحرياً للجماعة من أجل البقاء.**